نعلم استحالة صوت خفيض وصوت جهوري بمحل واحد في وقت واحد جميعا
وهذا واضح لاخفا به والمختلف من الاصوات متضاد كان المختلف من الالوان
متضاد والرب سبحانه واحد ومتصف بالوحدانية متقدس عن التجزي والتبعيض
والتعدد والتركب والتالف واذا تقرر ما قلناه استحال قيام اصوات متضادة
بذات موصوفة بحقيقة الوحدانية وهذا ما لا مخلص لهم منه فان تعسف من
المقلدين متعسف واثبت الرب سبحانه جسما مركبا من ابعاض منا القاصر جوارح
نقلنا الكلام معه الى ابطال التجسيم وايضاح تقدس الرب عن التبعيض والتاليف
والتركيب فيقال له بهذا بعينه وارد عليك فيما اثبته من المعاني المعنى القائم
بالذات فان الذي يعلم بالضرورة في الحروف يعلم مثله بالضرورة في المعاني فا
لمتكلم منا اذا تكلم بسم الله الرحمن الرحيم فهو بالضرورة ينطق بالاسم الاول لفظا
ومعنى قبل الثاني فيقال في هذه المعاني نظير ما قاله في الحروف فيقال من اعترف
بان الرحيم معنى اسم الرحمن الرحيم بعد معنى بسم الله والدعي ان هذا المعنى لا اول له
فقد خرج عن المعقول الى الجحد الضرورة وان زعم ان الرب تكلم بمعاني
الحروف دفعة واحدة من غير تعاقب ولا ترتيب قيل له معاني الحروف حقائق
مختلفة لا شك في اختلافها فان المعنى القائم بنفس المتكلم المفهوم من الحمد لله رب العا
لمين ليس هو المعنى القائم بالنفس المفهوم من تبت يدا ابي لهب ولا شك في ان
المعنى في صيغ الامر ليس هو المعنى في صيغ الاخبار فاما ان يسلم هذا او يمنع فان
سلم كما سلم بعضهم ان الكلام خمس حقائق تكلم معه حينئذ وان لم يسلم قيل له العلم
باختلاف هذه المعاني ضروري بديهي ليس هو بدون العلم بتعاقب الحروف
والمعاني ولا بدون العلم باختلاف الاصوات بل اصوات للصوت الواحد اقرب
تشابها من المعاني القائمة بنفسه وهذا امر محسوس ومن الكره سقطت مكالمته
ابلغ مما سقطت مكالمة ذلك وايضا فيقال له هذه المعاني المختلفة متضادة في حقنا
فانا نجد من نفوسنا انها عند حضور معاني كلام لا يمكنها ان تحضر معاني كل كلام

كما نجد

كما نجد من نفوسنا انا عند التكلم بصوت لا يمكننا ان نتكلم بصوت اخر فان كا
ن هذا الامتناع لذات المعنيين والصوتين امتنع ان يقوم ذلك بمحل واحد وان
كان لعجزنا عن ذلك كما نعجز عن استحضار علوم كثيرة لم يجب ان يكون ذلك ممتنعا
في حق الله ولا ممتنعا ان يخلق الله في ما شاء من المخلوقات معاني كثيرة مختلفة
واصواتا كثيرة مختلفة قوله وكل صوتين مختلفين من الاصوات متضادان
يستحيل اجتماعهما في المحل الواحد وقتا واحدا فيقال له اما الذي نجده فانا لا
يمكننا ان نجمع بين صوتين في محل واحد وقتا واحدا سواء كانا مختلفين او متما
ثلين فليس الامتناع في ذلك لاجل اختلاف الاصوات وكذلك لا يمكننا ان
نستحضر في قلوبنا المعاني الكثيرة في الوقت الواحد في الزمن الواحد سوا
كانت مختلفة او متماثلة وان قدرنا ان نجمع من المعاني في قلوبنا ما لا نقدر
على ان نجمع لفظه من الاصوات فلا ريب ان القلب اوسع من الجسد لكن لا
بد ان يجد كل احد نفسه يمتنع ان يجتمع فيها معاني كثيرة في وقت واحد كما يمتنع
ان يجمع بين صوتين في محل واحد وقياس الاصوات بالمعاني وهي مطابقة
لها وقوالب لها اجود من قياسها بالالوان وما الزعوم في المعاني من انها معنى
واحد هو الامر والنهي والخبر ليس في مخالفته لبديهة العقول بدون انها
ليكون حرف واحد هو البا والسين واذا لم يقل هذا او هو نظيره فلا ريب
ان العقول بجواز اجتماعهما في المحل الواحد اقرب الى المعقول من كون الا
مر هو النهي وهو الخبر فالقول باجتماع الصفتين المتضادتين في محل وا
حد اقرب من العقول بان احدهما الاخر ومن قال الكلام هو الامر والنهي
والخبر وانها كلها مجتمعة قائمة بمحل واحد فكيف يمتنع ان يقول باجتماع حر
فها في محل واحد ومما يؤيد هذا انه على اصل القاضي ابي بكر وهو قول الطائفة
ان النسخ رفع الحكم بعينه وهذا اختيار الغزالي وهو قول ابن عقيل وغيره من
المحققين فيكون سبحانه قد امر بشي ونهى عن نفس ما امر به كما في قصة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)